

تفسير البحر المحيط

. @ 259 @ .

أي جلود . .

آية : أي علامة دالة على □ وعلى قدرته وإحسانه ووجوب شكره ، أو جعل قصتهم لأنفسهم آية ، إذ : أعرض أهلها عن شكر □ عليهم ، فخر بهم وأبدلهم عنها الخبط والإثل ثمرة لهم ؛ و { جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } : خبر مبتدأ محذوف ، أي هي جنتان ، قاله الزجاج ، أو بدل ، قال معناه الفراء ، قال : رفع لأنه تفسير لآية . وقال مكي وغيره ، وضعفه ابن عطية ، ولم يذكر جهة تضعيفه . وقال : { جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } ابتداء ، وخبره في قوله : { عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ } . انتهى . ولا يظهر لأنه نكرة لا مسوغ للابتداء بها ، إلا إن اعتقد إن ثمة صفة محذوفة ، أي جنتان لهم ، أو عظيمتان لهم { عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ } ، وعلى تقدير ذلك يبقى الكلام مفلتاً مما قبله . وقرأ ابن أبي عبيدة : جنتين بالنصب ، على أن آية اسم كان ، وجنتين الخبر . قيل : ووجه كون الجنتين آية نبات الخبط والإثل والسدر مكان الأشجار المثمرة . قال قتادة : كانت بساتينهم ذات أشجار وثمار تسر الناس بظلالها ، ولم يرد جنتين ثنتين ، بل أراد من الجهتين يمنة ويسرة . انتهى . قال الزمخشري : وإنما أراد جماعة من البساتين عن يمين بلدتهم ، وأخرى عن شمالها ، وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتسامها كأنها جنة واحدة ، كما يكون بلاد الريف العامرة وبساتينها ، أو أراد بسناني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله ، كما قال : { جَعَلْنَا لَكُمَا لَاحِدًا وَاحِدًا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } . انتهى . قال ابن زيد : لا يوجد فيها برغوث ، ولا بعوض ، ولا عقرب ، ولا تقمل ثيابهم ، ولا تعيا دوابهم ؛ وكانت المرأة تمشي تحت الأشجار ، وعلى رأسها المكتل ، فيمتلئ ثماراً من غير أن تتناول بيدها شيئاً . وروي نحو هذا عن عبد الرحمن بن عوف وابن عباس . . { كُتِبَ لَهُ مِنْ رِزْقِهِ رَبِّكُمْ } : قول □ لهم على السنة الأنبياء المبعوثين إليهم ، وروي ذلك مع الأيمان ب□ ، أو قول لسان الحال لهم ، كما رأوا نعماً كثيرة وأرزاقاً مبسوطة ، وفيه إشارة إلى تكميل النعمة عليهم ، حيث لم يمنعهم من أكل ثمارها خوف ولا مرض . { وَاشْكُرُوا لَهُ } على ما أنعم به عليكم ، { بِلَادَةٍ طَيِّبَةٍ } : أي كريمة التربة ، حسنة الهواء ، رغبة النعم ، سليمة من الهوام والمضار ، { وَرَبِّ غَفُورٌ } ، لا عقاب على التمتع بنعمه في الدنيا ، ولا عذاب في الآخرة ، فهذه لذة كاملة خالية عن المفاصد العاجلة والمآلية . وقرأ رويس : بنصب الأربعة . قال أحمد بن يحيى : اسكنوا بلدة طيبة واعبدوا رباً غفوراً . وقال الزمخشري : منصوب على المدح . ولما ذكر تعالى ما كان

من جانبه من الإحسان إليهم ، ذكر ما كان من جانبهم في مقابلته فقال : { فَأَعْرِضُوا }
: أي عما جاء به إليهم أنبياءهم ، وكانوا ثلاثة عشر نبياً ، دعوهم إلى الله تعالى ، وذكر
وهم نعمه ، فكذبوهم وقالوا : ما نعرف الله نعمة ، فبين كيفية الانتقام منهم . كما قال : {
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا } ، { إِنْ زَلَّ
مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَظِمُونَ } ، فسلط الله عليهم الجرد فأراً أعمى توالد فيه ،
ويسمى الخلد ، وخرقه شيئاً بعد شيء ، وأرسل سيلاً في ذلك الوادي ، فحمل ذلك السد ، فروي
أنه كان من العظم ، وكثر به الماء بحيث ملأ ما بين الجبلين ، وحمل الجنات وكثيراً من
الناس ممن لم يمكنه الفرار . وروي أنه لما خرق السد كان ذلك سبب يبس الجنات ، فهلكت
بهذا الوجه . وقال المغيرة بن حكيم ، وأبو ميسرة : العرم في لغة اليمن جمع عرمة وهي :
كل ما بني أو سئم ليمسك الماء . وقال ابن جبير : العرم : المسناة ، بلسان الحبشة .
وقال الأخف 5 : هو عربي ، ويقال لذلك البناء بلغة الحجاز